الموقف من التصوف الإسلامي بين المشارقة والمغاربة

Attitude towards Islamic Sufism

شنتوح ليليا :أستاذة محاضرة"أ"
كلـــــية العلـــوم الإسلامية
جـــامعة الجزائر 1

تاريخ إرسال المقال: 2018/12/23 **تاريخ قبول المقال:**2019/05/24

الملخص

تباينت آراء العلماء والباحثين والدارسين قديما وحديثا حول التصوف الإسلامي بين رأي مؤيد له وآخر معارض له، ففي حين اعتبره البعض لب الإسلام وجوهره، اعتبره البعض الآخر خروجا عن الدين ومروقا عن الإسلام، ومن هنا نحاول في هذا المقال التعرف على بعض هذه المواقف المتخذة من التصوف الإسلامي في المشرق والمغرب الإسلامي على السواء .

الكلمات المفتاحية : تصوف، موقف، القبول، الرفض المشرق، المغرب.

Abstract

There are a lot of controversies among the scholars about Soufisim in Islam. Infect, there are two main protagonists those who are against such a dogm and concider it a kind of deviation from the principles of Islam and those who tolerate such a dogm and concider it as the core of this religion.

Thus, in this essay we try to expose some of these contrasted views about soufisim in both west and east side of the Islamic world .

Keywords: soubise ، Situation, Orient,, West, rejection.

المؤلف المرسل: شنتوح ليليا، Liliasana882@yahoo.com

مقدمة

ظهر التصوف في المشرق العربي كظاهرة عامة في أواخر القرن الثاني الهجري، واستمر في النمو والانتشار خلال القرن الثالث الهجري، وقد أرجع ابن خلدون [1] ظهوره في القرن الثاني وما بعده إلى إقبال الناس على الدنيا والانغماس فيها، فقال:" فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[2].

أما بالغرب الإسلامي فقد نشأ التصوف الإسلامي في أوائل القرن الخامس الهجري أو قبله بقليل، وذلك في عهد المرابطين مبنيا على الزهد والتقشف والنسك وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة والوقوف مع ظواهر الشرع[3]، غير أنه لم يظهر كفكر وسلوك و ممارسة وطاقة مؤثرة في المجتمع إلا منذ القرن السادس الهجري[4].

وقد تباينت حوله آراء العلماء والباحثين والدارسين قديما وحديثا بين رأي مؤيد له وآخر معارض، ففي حين اعتبره البعض لب الإسلام وجوهره، اعتبره البعض الآخر خروجا عن الدين ومروقا عن الإسلام، ولهذا يمكننا تقسيم هذه المواقف حول التصوف إلى موقفين هما:

1- موقف الرفض و المعارضة

2- موقف التأييد والقبول

1- موقف الرفض والمعارضة

لقي التصوف الإسلامي مند بواكيره معارضة كبيرة من قبل الفقهاء والمتكلمين، والتزام الحنابلة وأهل السلف بخاصة بموقف مناهض له، ومن الذين أنكروه نذكر:

الإمام أحمد بن حنبل[5] الذي كان شديد الانكار على الصوفية لما في أقوالهم من البدع قال ابن كثير[6]:"إن سبب كراهية أحمد لصحبة الصوفية أن في كلامهم التقشف وشدة السلوك ما لم يرد به الشرع، ومن التدقيق ومحاسبة النفس ما لم يأت به أمر"[7].

ولكن أحمد بن حنبل لم يرفض الزهد، قال ابن كثير:" وقد صنف أحمد في الزهد كتابا حافلا عظيما لم يسبق إلى مثله ولم يلحقه أحد فيه والمظنون- بل المقطوع به- أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه"[8]، وإنما عارض أحمد بن حنبل الصوفية وعلى رأسهم الحارث المحاسبي[9] (ت231 ﻫ) بسبب نزوعه نحو علم

الكلام، وخروجه عن الزهد المألوف في عصره، ولهذا نهى عن الاجتماع بأصحاب الحارث لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر.

أما الشافعي فقد قال عنه ابن تيمية:" وأما الشافعي فالمنقول عنه ذم الصوفية وكذا مالك فيما أظن"[10]، وقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال:" ما لزم أحد الصوفيين يوما فعاد عقله أبدا وأنشد: ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف[11].

وقال أيضا عندما سافر إلى مصر:" تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة شيئا يسمونه التغبير[12] يصدون به الناس عن القرآن الكريم"[13] ، ولكن هذه النصوص رغم قلتها-وهذا ما وجدنا له- فهي لا تبين لنا الأسباب الموضوعية التي جعلت الإمام الشافعي يرفض التصوف رفضا مطلقا.

أما الحافظ ابن الجوزي [14]، فقد خصص قسما كبيرا من كتابه "تلبيس إبليس" في الكلام عن الصوفية، وكان يدعو المسلمين إلى عبادة الله عز وجل وفق العقل والشرع، دون المظاهر التي حرص الصوفية على إتباعها من إهمال الحقوق وترك الأولاد والالتجاء إلى زوايا المسجد. وقد قال عنه:" وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وجعله على الخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك ، ثم قال:" وعلى هَذَا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فِي أشياء ثم لبس عَلَى من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه فِي القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إِلَى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عَن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فِي الظلمات فمنهم من أراده أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فِي الجملة فرفضوا مَا يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فِي الحمل عَلَى النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم عَلَى غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وَهُوَ لا يدري"[15].

ومن خلال هذا النص نجد ابن الجوزي يرفض سلوكات المتصوفة من ترك الدنيا وكراهية المال وقلة النوم فهو يرى أن مقاصدهم من خلال هذه الأعمال كانت وراءها نية حسنة لكنهم بهذه الأعمال خرجوا عن جادة الصواب .

وأما ابن العقيل فقد قال في معرض نقده للمتصوفة والتحذير منهم:"فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدائح الأعمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلفاء أكل وشرب وسماع ورقص وإهمال لأحكام الشرع"[16]، ومن هنا فقد رفض ابن عقيل التصوف والصوفية جملة وتفصيلا، ووصفهم بالزنادقة لأفعالهم من سماع ورقص وإهمال لأحكام الدين، وبالتالي فقد رفض هو كذلك التصوف كأفكار و ممارسات للصوفية.

أما بالغرب الإسلامي من جهة أخرى نجد موقف الرفض للتصوف بدأ يظهر في منتصف القرن الخامس، ولا سيما عندما دخلت بعض كتب التصوف للمغرب، ونخص بالذكر هنا كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي حيث وجد الناس فيه كثيرا مما لم يألفوه فثاروا عليه وأمروا بإحراقه وتحريم قراءته، وكان هذا الحادث من أهم عوامل تدهور واضطراب[17] مواقف الناس والعلماء اتجاهه، وقد مثل اتجاه الرفض والإحراق لكتب الغزالي الفقهاء المغاربة، وهنا نتساءل عن الأسباب التي دعتهم إلى ذلك؟، فنقول إن الغزالي نقدهم نقدا لاذعا حيث اتهمهم بالابتعاد عن الفقه وحصر وظيفتهم في الفتاوى والأحكام الظاهرة ، فقال:" إنهم اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد، وخصصوا الفقه بما سموه الفقه وعلم المذهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة"[18].

والملاحظة الجديرة بالذكر أن مقاومة علماء المغرب العربي للتصوف لم تكن موجهة لمبدء الزهد لأن هؤلاء العلماء كانوا هم أيضا في قمة الزهد، والانقطاع لله تعالى، ولكن المقاومة كانت موجهة بشكل خاص نحو الانحرافات والبدع التي دخلت هذا الاتجاه.

ونلاحظ أن مقاومة التصوف في الغرب الإسلامي عموما كان يتولاها في البداية أفراد كأبي زيد القيرواني [19]ثم تطورت بعد ذلك وأصبحت الدولة هي التي تتولى هذه المهمة كما فعلوا بابن العريف[20] وجماعته حين أحضروا إلى السلطان فحبسهم وشدد عليهم حتى يأس الناس شرهم.

لقد كانت بداية المقاومة للتصوف عندما اتخذ بعض الزهاد موعدا أسبوعيا يلتقون فيه وهو يوم السبت في أحد المساجد الذي أصبح يعرف فيما بعد بمسجد السبت[21] ويعقدون فيه حلقا للذكر وقراءة القرآن، وإنشاد أشعار الزهد منها أشعار

ابن معدان، فكان المتعبدون والصالحون إذا سمعوها استراحوا إليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم[22]، وقد جاء إنكار العلماء لمثل هذا العمل من ناحيتين:

الناحية الأولى: تخصيص يوم بعينه ومكان بعينه للعبادة، وهذا لا يجوز فعله إلا بنص من الشارع، قال الشاطبي:" فإذا خص يوم بعينه او أياما بأعيانها لا من جهة ما خصه الشارع ضاهي في تخصيص الشارع أياما بأعيانها دون غيرها فصار التخصيص من المكلف بدعة"[23].

والناحية الثانية: التي أنكرها العلماء على هذه الأعمال ما كان يحدث في هذه المجالس أو الحلقات من أمور لم يعهدها السلف رضي الله عنهم ولا فعلوها ولا أمروا بها مثل سماع الأناشيد وإنشاد أشعار الرقائق والاهتزاز لها والتحرك عندها بينما يقرأ القرءان ولا يفعل شيء من ذلك. وكان رأس المنكرين لهم الإمام الطرطوشي [24]الذي كان شديدا في دين الله قامعا لأهل البدع، وقد كان يرى أن اجتماع الناس في مسجد السبت بدعة لم تكن في الزمن الأول وألف تأليفا في وجوب مقاطعته والإنكار على من يحضره.

وفي القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي، ناصب الفقيه المالكي أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير البلنسي (ت614 هـ/1218م) التصوف الفلسفي العداء في قوله:

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين إلا بما سن ابن سينا وأبو نصر
يا وحشة الإسلام من فرقة شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها وادعت الحكمة والفلسفة[25]

وموقف آخر خلال القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، يمثله الفقيه أبو محمد موسى بن عبد الله القشتالي الذي رفض مصنفات القشيري والغزالي في قوله:" لو وجدت تأليف القشيري لجمعتها وألقيتها في البحر، وكذلك كتب الغزالي إني أتمنى أن أكون يوم الحشر مع أبي محمد ابن زيد القيرواني [26] لا مع الغزالي"[27].

وتستمر المقاومة للتصوف وتصل ذروتها في عهد المرابطين، حيث اتخذت المقاومة شكلا آخر تميز بالتشديد والحزم والعنف في بعض الحالات.

وفي العصر الحديث علم بعض العلماء خطورة النزعة الصوفية عندما بدأت تتحلل إلى أفكار وتيارات هادمة للإسلام وتحول التصوف في صورته الأخيرة إلى مظاهر كهنوتية وتحولت الشعائر الدينية إلى أناشيد وأهازيج وضرب الدفوف وأنواع التمايل والرقص فعندئذ صبوا جم غضبهم على أصحابها، بل ذهبوا إلى معارضتهم للتصوف أن أنكروا كل اتجاه صوفي.

ومن هنا فقد اتخذت معظم حركات التجديد الإسلامي موقفا مناهضا للتصوف، وعدته مسؤولا عما ران على عقول المسلمين من غيبات أدت إلى تخلفهم عن مسايرة ركب الحضارة، وأنه لا يرجى لهم نهوض إلا بالتخلص من التصوف، وشملت هذه الحملة مجديدين كبار نذكر منهم:

جمال الدين الأفغاني[28] الذي اعتبر التصوف مسؤولا عن شيوع روح التواكل بين المسلمين واعتقادهم بالجبر باسم القضاء والقدر، فقال في بيان ذلك:" إنهم يتخذون الإيمان بالقضاء والقدر سبيلا إلى القعود عن طلب الرزق مع أن الإيمان بالقدرة الإلهية ليس حائلا دون حرية إرادة الإنسان، إن الإيمان بالقضاء هو الذي مكن المسلمين الأوائل الفتوحات، إن الذين لا يفهمون من التوكل إلا معنى التواكل يستحب إزالتهم وتنقية الهيئة الاجتماعية من درنهم لأن آرائهم ليست وفاق مع الدين"[29] هكذا اقترنت حركة جمال الدين الأفغاني التجديدية بالحملة على التصوف .

والشيء نفسه بالنسبة لتلميذه محمد عبده[30] الذي اتخذ من التصوف موقفا ألب عليه مشايخ الطرق الصوفية في مصر[31].

وموقف آخر للشاعر الفيلسوف محمد إقبال[32] فقد نشأ في أسرة متصوفة، ولكنه مع ذلك لم يجد للتجديد سبيلا إلا بالتخلص من التصوف، حيث قال:(أنا بفطرتي وتربيتي انزع إلى التصوف ..ولكن تدبر القرءان المجيد ومطالعة تاريخ الإسلام بإمعان عرفاني غلطي، وبالقرآن عدلت عن أفكاري وجاهدت ميلي الفطري وحدت عن طريقة أبائي) [33].

وقد أنكر على التصوف أمور ثلاث:

1- الرهبانية: وهي دعوة مسيحية استنكرها الإسلام لأنها تبعد المرء عن العمل.

2- شطحات الصوفية: إن حالة السكر التي يقول بها الصوفية عندما يتجلى الله على أحد من عباده يتعارض مع روح الإسلام الذي يطلب الصحو لا السكر.

3- فكرة الفناء ومذهب وحدة الوجود، فالإسلام يطالب بإثبات الذات لا إماتة النفس، وأما وحدة الوجود فهو مذهب فلسفي يباين فكرة التوحيد لأن وحدة الوجود تعني أن لا موجود إلا الله.

وقد وصف إقبال التصوف في قصيدة فقال:

سدوه فينا يزيد الكللا كأسه فينا تزيد الملا

نومت ألحانه بيقظتنا أطفأت أنفاسه وقدتنا

حنته في دلة في سفره يائس مستسلم للحيته.

وهكذا نجد حركة محمد إقبال اقترنت بهجوم لا هوادة فيه على ما أسماه التصوف العجمي تأكيد بعده عن روح الاسلام[34].

أما مصطفى عبد الرازق [35] فقد اتهم الصوفية بأنهم السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين في العصور المتأخرة حيث استغل هؤلاء مبدأ الزهد كوسائل غش للوصول إلى أهدافهم الفاسدة فقال:" ولابد أن نطرح قبل ذلك بأننا أهملنا عن عمد دور الانحطاط الذي انتهى اليه التصوف في عهوده المتأخرة وهو الدور الذي لا نزال نشهده والذي جعل من طريقة الإخلاص والزهد والعرفان والخير أداة غش، ومطامع جهل وفساد"[36].

وإلى هذا المعنى تقريبا ذهب زكي المبارك -ولكن بألفاظ أكثر قساوة – حيث يرى أن دعوة الصوفية للفقر هي السوس الذي قضى على عظام المسلمين وجعلهم من أذل الشعوب كذلك دعوتهم للقناعة التي اعتبرها رذيلة إنسانية تؤدي إلى التخلف فهم-على حد تعبيره- قوم كسالى وادعون ذهب بهم الجوع إلى أودية الموت[37].

هذه إذن بعض المواقف التي تبين رفض العلماء والناس لهذا للتصوف الإسلامي عبر عصور مختلفة ننتقل الآن لمعرفة الموقف المؤيد وأسبابه؟

2- موقف التأييد والقبول

كان موقف العامة والخاصة من الناس في بادئ الأمر هو القبول للتصوف والدفاع عنه و مما يدل على ذلك الرواية التي رواها ذا النون المصري [38]حيث قال:" رأيت امرأة ببعض سواحل الشام فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟ قالت: من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا، قلت: وأين تريدين؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. قلت: صفيهم لي: فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت فمالهم همم تسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم سيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولـد [39].

فهذه الرواية وكما نرى تبين مدى إقبال بعض الناس وشغفهم بالتصوف. ونذكر من العلماء الأوائل الذين دافعوا عنه الإمام القشيري [40] حيث قال في رسالته المعروفة بالرسالة القشيرية:" لقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على كافة عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره [41].

وقد دافع الإمام القشيري عن التصوف الصحيح من التصوف البدعي فقال:" اعلموا رحمكم الله أن شيوع هذه الطائفة- الصوفية- بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم من البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف من التوحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل"[42].

أما الجنيد [43] فقال عن التصوف: "-هو- تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أولى على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة" [44]. وقد ذم الجنيد التصوف الذي أسقط التكاليف الدينية حين قال له أحد جلسائه:" إن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى، فيرد الجنيد: إن هده عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا ممن يقول هذا" ونذكر في هذا المقام أيضا أبي نعيم الأصبهاني [45] الذي ألف كتاب"حلية الأولياء" وأرخ فيه للزهاد والمتصوفة من عصر الصحابة إلى عصره حيث قال فيه:" فَقَدِ اسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا ابْتَغَيْتَ مِنْ جَمْعِ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ أَسَامِيَ جَمَاعَةٍ وَبَعْضَ أَحَادِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْمُتَحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَئِمَّتِهِمْ. وَتَرْتِيبِ طَبَقَاتِهِمْ مِنَ النُّسَّاكِ وَمَحَجَّتِهِمْ، مِنْ قَرْنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ عَرَفَ الْأَدِلَّةَ وَالْحَقَائِقَ، وَبَاشَرَ الْأَحْوَالَ وَالطَّرَائِقَ، وَسَاكَنَ الرِّيَاضَ وَالْحَدَائِقَ، ...)[46].

وألف كذلك الامام الكلابادي [47] كتابه الموسوم ب "التعرف على أهل التصوف" ودافع فيه عن التصوف فقال:" فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقهم وبيان نحلتهم وسيرتهم من القول في التوحيد والصفات وسائر ما

يتصل مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم، ولم يخدم مشايخهم، وكشفت بلباس العلم ما أمكن كشفه ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم، ويدركه من لم يدرك عباراتهم وينتفي عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرا إلى الله تعالى في بلوغ الحقيقة"[48].

ومن الذين تكلموا عن التصوف وأيدوه ابن تيمية حيث ذهب إلى أن منشأ التصوف إنما كان في البصرة في أصحاب الحسن البصري الذي هو من كبار الفقهاء المعتمد عليهم عند السنة فقال: "وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما كان له فيه اجتهاد"[49] إلى أن قال: "وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج [50] فإن أكثر مشايخ التصوف أنكروه"[51].

وقال كذلك:" والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ فيتوب"[52].

ويبدو أن ابن تيمية لم يكتف بالانكباب على التراث العلمي الضخم يدرسه وينشره وإنما تمثل إلى الاعتقاد أنه أيضا تذوق التجربة التي يمر بها السالكون نحو الله وعرف أسرارها حيث قال:" وهذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الايقانية"[53].

ومن هنا يقسم ابن تيمية أهل التصوف إلى ثلاثة طوائف هم:

1- صوفية الحقائق: وهم المتبعون للشريعة المقتفون خطى الأوائل.

2- صوفية الأرزاق: وهم الدين وقفت لهم الأوقاف والتكايا.

3- صوفية الرسم: المقتصرون على النسبة همهم الخرقة[54].

فنجد من خلال هذا التقسيم أن ابن تيمية تنبه إلى فكر ة تطور التصوف على مدى العصور.

ومن الذين قبلوا التصوف أيضا تلميذه ابن قيم الجوزية [55] الذي كان متعمقا في أمور التصوف ودقائقه كما يشهد له بذلك مؤلفه العظيم" مدارج السالكين" حيث قال فيه:" التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحبه" [56]،

وقال أيضا في مؤلفه" طريق الهجرتين": ومنها أن هذا العلم-التصوف- هو من أشرف علوم العباد وليس بعد علم التوحيد أشرف منه وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة"[57].

ولكن ابن القيم استنكر من طائفة الصوفية قولهم بأن هناك علما باطنا وظاهرا حيث قال :" ومن كيد الشيطان ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرزهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات... وأوحى لهم ان وراء العلم طريقان إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العياني وأغناهم بالتقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليها أهل الدنيا وأهل الرياسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء"[58].

ومن هنا يبدو أن ابن القيم لم يرفض التصوف عموما ، وإنما رفض بعض آراء المتصوفة والتي منها تقسيمهم العلم إلى ظاهر وباطن.

وكلمات علماء الإسلام كثيرة في الدفاع عن التصوف ومدحه كما تقدم ويكفي أن عددا كبيرا من علماء التصوف هم كبار علماء السنة في الحديث أو الفقه أو غير ذلك من العلوم أمثال القشيري وغيره

وهذا الاتجاه- كما نرى- يعتبر التصوف طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمؤرخين وغيرهم فيهم المصيب والمخطئ والصالح والطالح والأصلي والمزيف.

أما بالغرب الإسلامي فقد كان موقفهم-يعني العامة والخاصة- في بادئ الأمر موقف القبول والتأييد ، ومن الأدلة التي يمكن أن نسوقها في ذلك أن أبو يزيد بن رباح بن يزيد اللخمي[59] (ت172ه) الذي كان من الزهاد القانتين المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة كان يوصي بكتاب الله وينصح بالالتزام به، وهذا ما يبدو لنا من خلال رسالته إلى البهلول بن راشد [60]حيث قال له فيها :" استعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره، وتلاوته، فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين"[61].

كما نجد أيضا الزاهد أبو خالد عبد الخالق المعروف بالقتاب [62] الذي كان من المجتهدين في العبادة كان يوصي بالقرآن والالتزام به والإكثار من تلاوته ويوصي بالصلاة بالليل وبحفظ اللسان وذكر الموت.

وممن دافع عن التصوف بقوة ابن خلدون حيث صنف كتابا مستقلا يشرح فيه حقيقة التصوف ويدافع عنه أسماه "شفاء السائل وتهذيب المسائل" وبين فيه أن

التصوف اهتمامه بباطن الشريعة في مقابل أن جملة من العلوم الإسلامية كالفقه دورها هو البحث في ظاهر الشريعة[63] وقال في مقام الاستدلال على أهمية البحث في باطن الشريعة والاهتمام بها: "ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم لما شرح الله صدورهم للإسلام وقبلوا من الهداية ما كانوا فيه إلى أعمال الباطن أكثر من أعمال الظاهر فكانوا يراعون أنفسهم ويراقبون خطراتهم فانفرد خواص السنة المحافظين على أعمال القلوب المقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة وسموا بالمتصوفة"[64].

ومن الذين دافعوا عنه أيضا الفقيه الأصولي أبو إسحاق الشاطبي [65] صاحب كتاب الموافقات حيث قال:" والوجه الرابع من النقل ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس، وإنما خصصناهم هذا الموضوع بالذكر وان كان فيما تقدم من النقل كفاية لأن كثيرا من الجهال يعتقدون أنهم متساهلون في الإتباع وأن اختراع العبادات والتزام مالم يأت في الشرع التزامه مما يقولون ويعملون به، وحاشاهم في ذلك أو أن يعتقدوه أو يقولوا به ، فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها"[66].

وغير هؤلاء كثيرون ممن كانوا قائمين على كتاب الله قراءة ومدارسة امتثالا لأوامره ونواهيه، ودعوة لما فيه من الزهد والورع والتعفف.

وكانت العبادة والاقبال على الله تعالى والانقطاع إليه والبكاء عند قراءة وسماع الموعظة من أبرز سمات الزهد في الأوائل فهذا أبو عبد الله العسال[67] الذي كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة كان يصلي ثلث الليل وينام ثلثه ويبكي ويدعو ثلثه[68].

وكذلك أدى وجود الصوفيين أبي محمد عبد الحق المعروف بابن سبعين وتلميذه أبي الحسن الششتري في بجاية منذ سنة 624ه الموافق لسنة 1227م إلى انتشار مؤلفاتهما وأشعارهما وتواشيحهما في الوحدة المطلقة بين نخبة من طلبة بجاية بكل حرية حيث نقل عن ابن سبعين قوله لتلميذه الششتري:" إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلما إلي"[69] وهو في هذا الموقف يخيره بين الأخذ عن إحدى الطريقتين دلالة على تعايش التيارات الصوفية في بجاية ناهيك عن تدريسهم للرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين علنا في مجالس درسهم دون مضايقة أو متابعة أو ضغط [70].

وفي عهد المرابطين ولما اتخذت المقاومة شكلا آخر تميز بالتشديد والحزم والعنف في بعض الحالات الأمر الذي أوجد اتجاها أخر مضادا وهو كثرة المؤلفات الصوفية في ذلك العهد منها مؤلفات ابن برجان[71] مثل: "الإرشاد والإشارات" و"شرح أسماء الله الحسنى" و"الإلهام"، وألف ابن العربي أيضا عدة مؤلفات في التصوف منها "محاسن المجالس" وكتاب" مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة".

كما أن موقفهم من كتاب الاحياء لأبي حامد الغزالي ولد عند الناس حبا كبيرا لهذا الكتاب وإقبالا شديدا عليه حتى قال قائلهم:

أبا حامد أنت المخصص بالمجد وأنت الذي علمتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء يحيى قلوبنا وينقدنا من طاعة التاريخ المردى[72]

ومنذ أواخر القرن التاسع يعني الخامس عشر ميلادي حث محمد السنوسي[73] على العناية بالأولياء والصلحاء المعاصرين وبدل الاهتمام بالغابرين منهم، وقد نقل عنه أنه قال: «إن النفوس في هده الأزمنة المتأخرة قد يمنعها من الاجتهاد في العمل الصالح ورياضة النفس عنها أن الولاية قد طوي بساطها فترى أن الاجتهاد لا فائدة منه"[74].

وبوحي من هذا الرأي اندفع تلاميذ السنوسي ابتداء من القرن العاشر يؤرخون للمرابطين والأولياء والصلحاء الغابرين والمعاصرين، وبذلك ظهرت تآليف ابن صعد[75] والملالي والصباغ والبطيوي وابن مريم [76] والفكون[77] وابن سليمان والورثلاني[78]، وغيرهم وجميعهم كانوا يتناولون بالدرس والتعريف تراجم الأولياء والصلحاء في مختلف العصور.

وكثرت العناية بدراسة التصوف وما يتصل به من مناقب وأذكار وعلوم أهل الباطن، وقد كان عدد من الأساتذة يتناولون تدريس التصوف في مجالسهم العلمية فقد عرف سعيد قدورة[79] بتدريسه كتاب "الحكم والتنوير" لابن عطاء الله السكندري، وكذلك كان عبد الواحد الأنصاري يدرس التصوف من بين المواد الأخرى ، وكان عمر الوزان[80] منكبا على دراسة كتب التصوف وعلوم أهل الباطن، وكذلك كان موسى بن علي اللالتي ناظم قصيدة حزب العارفين يقرئ تلاميذه في تلمسان كتب الصوفية ويحدثهم عن أخبار أهل التصوف وأحوالهم.

وقد جاء في رحلة الورثلاني أنه كان يكثر من دراسة أهل التصوف مستندا على مقالة الإمام مالك بن انس من أن الصوفي الذي لا يعلم الفقه يعتبر زنديقا وأن عالم أصول الدين الذي لم يدرس التصوف يعتبر فاسقا[81].

أما أحمد مرزوق[82] فقد قال عن التصوف:" –هو- علم قصد لإصلاح القوب وإفرادها لله تعالى عما سواه والقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام والأصول وعلم التوحيد لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الايمان بالإتقان كالطب لحفظ الأبدان وكالنحو لإصلاح اللسان غلى غير ذلك.

فنلاحظ أنه قرن التصوف بحقول معرفية أخرى كالفقه وعلم الحديث والطب والنحو ولا شك أن تعريفه ينطلق من رؤية صوفية خالصة ترى التصوف علما نافعا خلافا للمواقف العدائية له.

أما عبد الحميد بن باديس[83] في الجزائر فلم يرفض التصوف الإسلامي السليم ،وإنما رفض ما أشاعته بعض الطرق الصوفية من تواكل وتخاذل واستلام فشن حربا لا هوادة عليها، بل لقد اتهم مشايخ الصوفية بالتواطؤ مع المستعمرين إن عن قصد أو عن غفلة[84]، فقد جاء في جريدة البصائر الصادرة في 19 أوت 1938م العدد 127 قوله:" فالزوايا والطرقية تمثل الكنيسة ورجال الأكليروس في ذلك العهد السحيق في إفساد النفوس والعقول بالدجل والتحريف، والإدارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة واستغلالها والجمعية الدينية الإصلاحية تمثل رجال الإصلاح على فارق في الوضع والأسلوب"[85].

ونجد أيضا موقف المستشرقين في العصر الحديث موقف القبول لتيار التصوف، فنجد ماسنيون في دراسته للتصوف الإسلامي يخصص معظم أبحاثه العلمية عن الحلاج، وقد أضفى على مقتله هالة كبرى حاول بها أن يجعل منه شهيد الفكر والعقيدة، ويرى محمد البهي أن إسراف المستشرقين في تجنيد التصوف الإسلامي في فترته الأخيرة –حيث يدعو إلى الحلول والفناء في الحب الإلهي- يرجع إلى ما يرونه في هذه الأفكار من انصراف المسلمين عن الجهاد الإلهي على نحو الحب الهندوكي وهو حب الفناء، ويصرف الوالهين والعاشقين عن الاحتفاظ بما يسمى الجماعة الإسلامية التي يدعوها الإسلام[86].

ويجوز أن هذه الظاهرة-نعني ظاهرة اهتمام المستشرقين بالتصوف الإسلامي- وراءها احتمالان:

أحدهما: أنهم وجدوا العالم الإسلامي قد طبعه التصوف بطابعه فظنوا أن دراساتهم لمجتمعات البلاد الإسلامية المعاصرة من خلال التصوف وحده قد تكفي للاستدلال على التراث الديني لهما ، أما الاحتمال **الثاني**: الذي تخفي وراءه سوء النية فهو تمجيد لكل التيارات التي أتت من خارج الإسلام في شكل التصوف الفلسفي الذي طمس معالم الإسلام ذاته[87].

ونجد موقفا آخر في العصر الحاضر لم يرفض التصوف الحقيقي، وإنما رفض ما طرأ على هذا العلم من زيغ وانحراف وهو موقف الباحثة هدى درويش[88] التي قالت عنه:(ومن الجهلاء بالصوفية من يسلك الممنوع والمحرم وغير الشرعي ولا تلومه نفسه، بل يتمادى ويتخذ من التصوف ستارا يستر به ماثمه، بل ويبالغ بعضهم في الضلال ويدعي الولاية والقدسية وكل هؤلاء مضلون ومدعون، والتصوف الحقيقي ببريء منهم..)، ثم تذكر التصوف الحقيقي فتقول:(والتصوف الحقيقي هو عند خاصة أهل الله الدين جعلوا الدعوة وحفظوها ودربوا مريديها وتلامذتهم على الخير والعلم والعمل وهم الصفوة المختارة في كل زمان الدين صفت قلوبهم مع الخلق فتم لهم الاصطفاء من الخال)[89].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن معظم نقد العلماء ورفضهم للتصوف منصب على العناصر الدخيلة من الأفكار والنظريات التي تخللته لا على الزهد الذي وجد قبل التصوف وانحرافه انصب على نظريات الحلول[90] والاتحاد[91] والفناء ووحدة الوجود وتفضيل الولاية على النبوة واسقاط التكاليف[92]، ومن هنا رفض التصوف الذي يخالف الكتاب والسنة ويتأثر بفلسفات وثنية كما رفض التصوف الذي يجعل من المسلم سلبيا لا يشارك في خدمة مجتمعه ومقاومة الظلم والدفاع عن المسلمين.

ولذلك ومهما قيل عن التصوف الإسلامي فلا يمكن أن نتجاهل حلاوة التصوف ودوره في ثراء مضامين الدين وأنه قدم للفكر الإنساني بعامة والإسلامي بخاصة تحليلا نفسيا ذا غاية أخلاقية لأعوار النفس البشرية كما قدم للفكر الفلسفي نظريات في الوجود ومباحث في المعرفة، وظهر بالتصوف أولياء هدوا الناس إلى البر والتقوى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هوامش

1- **ابن خلدون:** هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبلي الأصل التونسي المولد المعروف بابن خلدون، قاضي القضاة، الفقيه، الأديب المؤرخ من مؤلفاته111: مقدمة تاريخه المشهورة، ولباب المحصل في اصول الدين، توفي سنة 808ه الموافق لسنة 1406م.
انظر ترجمته في: ، وابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دمشق: بيروت، دار ابن كثير، ج9، ص 119.

2 - المقدمة ط1، بيروت: لبنان، دار الفكر، 2006م ، ص490.

3 انظر: عبد الله التليدي: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ط1، طنجة، 1987م، ص31.

4 انظر: جمال علال البختي: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2005م، ص49.

5 **أحمد بن حنبل:** هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل أصله من شيبان، ولد ببغداد سنة 164ه، وبها درس الحديث واللغة ورحل في طلب العلم إلى الشام امتحن في محنة خلق القرءان وهو مؤسس المذهب الفقهي الرابع، توفي سنة 241هانظر ترجمته في: الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دط، بيروت: دار الكتاب العربي1409ه، مج9، ص161-232.

6 **ابن كثير:** هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وتوفي بدمشق، من كتبه: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، تفسير القرآن الكريم. انظر: ابن عماد: شذرات الذهب، ج1، ص67، الزركلي: الأعلام، ط5، (بيروت: لبنان، دار العالم للملايين، 1980)، ج1، ص360.

7 البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، دار احياء التراث العربي، 1988م،ج10، ص363.

8المصدر نفسه، ج10، ص363.

9 **المحاسبي**: هو الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، أبو عبد الله، شيخ الصوفية، توفي سنة 243ه انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط واخرون، ط3، دب، مؤسسة الرسالة، ج 12، ص110، و جمال الدين الجوزي: صفة الصفوة، تح: أحمد بن علي، دط، القاهرة: دار الحديث، 2000م، ج1، ، ص493.

10 الفتاوى، ج10، ص385.

11 ابن الجوزي: تلبيس ابليس، ط1، بيروت: دار الفكر، 2001م ص157.

12 **التغبير:** هو الضرب بالقضيب غير أي أثار غبارا وهو الة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء. انظر عنه: ابن الجوزي: المرجع نفسه، ص 371.

13 المرجع نفسه، ص371.

14 **ابن الجوزي:** هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسين علي بن محمد بن علي بن الجوزي إمام حافظ وواعظ كان علامة عصره في الحديث صنف في علوم كثيرة كالتفسير والحديث

والتاريخ توفي سنة 597هـ. انظر ترجمته في: ابن خلكان: وفيات الأعيان، دط، بيروت: دار صادر، 1900م، ج3، ص 140، و ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 329-331.

15 تلبيس ابليس، ،ص 147.

16 المرجع نفسه، ص329.

17 انظر: منال عبد المنعم السيد جاد الله: أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية، أطروحة دكتوراه في الآداب، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، دت ، ص124.

18 - الإحياء، دط، بيروت: دار المعرفة، ج3، ص393.

19 -**ابن أبي زيد القيرواني**: هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن المكنى بأبي محمد من فقهاء المالكية بالقيروان لعب دورا بارزا في بعث المذهب المالكي بالغرب الاسلامي، وكان له موقف من متصوفة افريقية استنكر عليهم كراماتهم خاصة المبالغ فيها ودعا إلى التصوف السني المقيد بالكتاب والسنة توفي سنة 386هـ الموافق لسنة 996م انظر ترجمته في: القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، دط، المغرب، وزارة الأوقاف المغربية دت، ج2، ص 492-495.

20 -**ابن العريف:** هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي ، نشأ فقيرا وقرأ القرءان وتوجه إلى الزهد وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية ، توفي في سجنه 536هـ. انظر ترجمته في: ابن خلكان: وفيات الأعيان، تح: احسان عباس، دط، بيروت: دار صادر، 1900م، ج1، ص 168-170، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص111-114.

21 - مسجد السبت يقع ناحية الدمنة خارج مدينة السوسة من مدن تونس . انظر عنه: حسن حسين عبد الوهاب: ورقات في تاريخ الحضارة العربية والاسلامية، دط، تونس: مكتبة المنار، 1964م، ج2، ص 180

22 - انظر: عبد الله المالكي: رياض النفوس، تح: حسين مؤنس، ط1، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، 1951م، ج2، ص 495-496.

23 - الشاطبي: الاعتصام، تح: سليم بن عيد الهلالي، ط1، السعودية، دار ابن عفان، 1412هـ-1992م، ج1، ص 486.

24 - **الطرطوشي** هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوسي، العلامة القدوة الزاهد الفقيه شيخ المالكية، عالم الاسكندرية وطرطوشة هي اخر حد المسلمين من شمالي الأندلس، توفي بالاسكندرية سنة 520هـ. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص490-496،

25 انظر: الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين، دط، عين مليلة: الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، 2004 ص79.

26 **ابن أبي زيد القيرواني:** هو أبو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني النفزي، ولد بقيروان سنة 310 ﻫ واخد بها عن عدد من العلماء منهم ابن اللباد وابو الحسن الخولاني، توفي بالقيروان سنة 386هـ . انظر ترجمته في: ابن فرحون: الديباج المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دط،

القاهرة: دار التراث للطباعة والنشر، دت ج1، ص 427، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دط، بيروت: دار الكتب العلمية، دت، ص96

27 - التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، ،طرابلس: دار الكاتب، 2000م، ص77

28 - **جمال الدين الأفغاني**: هو جمال الدين ولد سنة 1838م في سعد اباد بأفغنستان، وكان من الرجال العصاميين من مؤلفاته: رسالة في الرد على الدهريين واصداره لصحيفة العروة الوثقى، وتوفي بالاستانة في تركيا سنة 1897م. انظر ترجمته في: بكير سعيد اعوشت: اسلام اليوم بين الأصالة والتحريف، دط، باتنة: الجزائر، دار الشهاب للطباعة والنشر،دت، ص110-112.

29 - أحمد محمود صبحي: التصوف اجابياته وسلبياته،دط،(القاهرة: دار المعارف، دت)، ص04

30 - **محمد عبده:** ولد في قرية محلة النصر سنة (1266 هـ -1849م)، وتعلم بها في طنطا، ثم التحق بالأزهر عام 1865م لمدة اثني عاشرة عاما، حصل على شهادة العالمية، وعين مدرسا في دار العلوم، توفي سنة (1323 هـ -1905م)، أشهر مؤلفاته: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية. انظر: أحمد أمين: زعماء الإصلاح، ص220-337. جمال الدين الأفغاني: محمد عبده، العروة الوثقى، ط1، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، (1389 هـ -1970م))، ص31-33.

31 -انظر: أحمد محمود صبحي: التصوف اجابياته وسلبياته، ص04.

32 - **محمد إقبال:** هو محمد اقبال وقد اختلفوا حول تاريخ ولادته حتى وصل فارق الاختلاف غلى سبع سنوات فمنهم من ذكر بأنه ولد سنة 1870 في حين ذكر البعض أنه ولد سنة 1872 وهو كما يذكر من سلالة البراهمة وأسلم جده الاعلى بابا لول منذ ثلاثة قرون، توفي سنة 1936م. انظر ترجمته في فضل معبود فضل عليم: محمد اقبال تاريخه ومنهجه في الحياة، مجلة الدراسات الإسلامية، مج5، ع18(3/1987م) ص18.

33 - محسن عبد الحميد: أئمة التجديد في الإسلام، ص88.

34 - انظر: أحمد محمود صبحي: التصوف اجابياته وسلبياته، ص8.

35 - **مصطفى عبد الرازق**: هو مصطفى بن حسن عبد الرازق ولد بمصر سنة 1302 هـ الموافق لسنة 1885م، وهو باحث في الشريعة والأدب كان وزيرا للأوقاف ثم شيخا للأزهر، وقد تتلمذ على يد محمد عبده، توفي سنة 1366 هـ الموافق لعام 1946م، من مؤلفاته: كتاب التصوف، وكتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، وكتاب الدين والوحي والإسلام.. انظر ترجمته في: الزركلي: الأعلام، ج7، ص231.

36 - مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف، مصر: دار الدعوة للطبع والنشر، دت، ص 28.

37 -انظر: زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دط، بيروت: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، دت،ج2، ص150.

38 -**ذو النون المصري:** هو أبو الفيض دو النون المصري بن ابراهيم المصري، أصله من السنوية، وكان من قرية من قرى الصعيد بمصر، وذو النون لقب، أسند أحاديث كثيرة عن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض وغيرهم، توفي سنة 246 ﻫ ، وقيل 245 ﻫ. انظر ترجمته في: الأصبهاني: حلية الأولياء، ج9، ص331-390.

39 -الكلاباذي: التعرف على أهل التصوف، ص 27.

40 -**القشيري:** هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري الخراساني النيسابورين الإمام الزاهد القدوة الفقيه الشافعي من أقطاب الصوفية جمع بين الشريعة والحقيقة توفي سنة 465 ﻫ الموافق لسنة 1074م.انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص277-233.

41 - الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، دط ، القاهرة: دار المعارف ،دت، ج1، ص 15.

42 - الرسالة القشيرية، ص02.

43 - **الجنيد**: هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزار القواريري، أصله من نهاوند إلا ان مولده ومنشأه ببغداد وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي، فسلك مسلكهما، توفي سنة 298 ﻫ وقيل 297 ﻫ.انظر ترحمته في: الأصفهاني: حلية الأولياء، ج10، ص255، و صفة الصفوة، تح: أحمد بن علي، دط، القاهرة: دار الحديث ، 1421ﻫ-2000م، ج2، ص270.

44 - الكلاباذي: التعرف على أهل التصوف، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م، ص 20.

45 - **الأصبهاني:** هو أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، محدث مؤرخ متصوف، ولد في أصبهان سنة 336 ﻫ ، وتوفي بها سنة 430 ﻫ ، من مؤلفاته: معجم الصحابة، حلية الأولياء، وصفة الجنة..انظر ترجمته في: ابن كثير: البداية والنهاية، ج12،ص45، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17،ص453، والزركلي: الأعلام، ج157.

46 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دط: القاهرة: مطبعة السعادة، 1974م، ج1، ص04.

47 -**الكلابدي:** هو محمد بن اسحاق (ويقال: بن ابراهيم) الكلابادي البخاري، أبو بكر محدث صوفي له تصانيف منها: كتاب بحر الفوائد، وكتاب التعرف لأهل التصوف، توفي سنة 380 ﻫ. انظر ترجمته في: عمر كحالة: معجم المؤلفين، دط، بيروت: مكتبة المثنى، و دار احياء التراث العربي ،دت،ج8، ص 222.

48 - التعرف على أهل التصوف، ص07.

49 - الفتاوى، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، دط، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد للطباعة، 1995م، ج11، ص16.

50 -**الحلاج**: هو الحسين بن منصور الصوفي ، كان جده مجوسيا صحب سهل التستري والجنيد، وقد تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ لسوء سيرته وقوله بالحلول والاتحاد فاتهموه بالزندقة، قتل مصلوبا بعد أن قطعت يداه ورجلاه وأحرقت جثته ونثر رمادها في نهر دجلة سنة 309 ﻫ. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص 313.

51 - المصدر نفسه، ج11، ص18.

52 -الفتاوى، ج11، ص 18.

53 -مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف، ص42.

54 -انظر: رسالة الصوفية والفقراء، تقديم: محمد جميل غازي،دط: القاهرة: مطبعة المدني،دت، ص32.

55 -**ابن القيم**: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، مولده سنة (691 هـ -1292م) بدمشق، توفي سنة (751 هـ -1350م)، تتلمذ بشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هدب كتبه ونشر علمه وألف تصانيف كثيرة منها أعلام الموقعين، مدارج السالكين، الفوائد انظر ترجمته في : ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص168، وانظر: الزركلي الأعلام، مج 6، ص56.

56 مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دط، بيروت: دار الكتاب العربي دت،ج2، ص302.

57 طريق الهجرتين وباب السعادتين،ط2، مصر: دار السلفية، 1394م، ص205.

58 اغاثة اللهفان ، تح: محمد حامد الفقى، دط، المملكة العربية السعودية: دار المعارف، دت، ج1، ص119.

59 -**اللخمي:** هو أبو يزيد رباح بن زياد اللخمي، كان رجلا صالحا زاهدا توفي سنة172هـ ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة.انظر ترجمته في: رياض النفوس، ج1، ص 300-321.

60 -لم أعثر على ترجمة له.

61 - رياض النفوس، ج1، ص306.

62 **القتاب**: هو أبو خالد عبد الخالق المتعبد يعرف بالقتاب كان من طبقة المجتهدين في العبادة. انظر ترجمته في: رياض النفوس ج1، ص324-331.

63 -شفاء السائل وتهذيب المسائل، دط بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996م، ص37

64 - المرجع نفسه، ص 43

65 - **الشاطبي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي، فقيه أصولي، توفي سنة 790هـ الموافق لسنة 1388م ، من مصنفاته الموافقات ، الاعتصام، والمقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية انظر ترجمته في: التنبكتي: نيل الابتهاج، ص46، و محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص231، ومحمد مظهر بقا: معجم الأصوليين، ج1، ص65.

66 - الاعتصام، ط1، دار المعرفة، 1986، ج1، ص67

67 **العسال:** هو أبو عبد الله حمدون العسال، كان احد المجتهدين في العبادة، توفي سنة 244ه هـ. انظر ترجمته في: رياض النفوس، ج1، ص410-411.

68 -رياض النفوس، ج1، ص410-411.

69 -المقري: نفح الطيب، ج2، ص 185.

70 -انظر: ابن الزيات: التشوف، ص185

71 - **ابن برجان**: هو أبو الحكم عبد السلام ابن عبد الرحمن بن أبي الرجال، روى عن محمد بن أحمد بن منظور، وكان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف توفي سنة 536 هـ مغربا عن وطنه بمراكش في سجن بن يوسف بن تاشفين. انظر ترجمته في: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص236-237، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص334.

72 - السبكي: طبقات الشافعية، ج6، ص 254.

73 -**السنوسي:** هو محمد بن يوسف بن عمرو بن شعيب اشتهر بالسنوسي نسبة الى سنوس وهي قبيلة معروفة بالمغرب الأقصى، وكان آية في عمله وهديه وصلاحه وسيرته ولد سنة 830 هـ وتوفي سنة 895 هـ من مؤلفاته: العقيدة الكبرى والعقيدة الوسطى والعقيدة الصغرى.. انظر ترجمته في: الحفناوي: تعريف الخلف، ج1، ص 179، وابن مريم: البستان، ص 237.

74 -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج، ص473.

75 -**ابن صعد:** هو محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني، أخذ عن محمد بن العباس والحافظ التنسي والامام السنوسي، وألف كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين، وله تآليف في الصلاة على النبي، توفي بالديار المصرية في رجب سنة 901 هـ

76 **ابن مريم:** هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني ولد بتلمسان وتوفي بها. انظر ترجمته في: مقدمة كتابه البستان

77 -**الفكون:** هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني الجامع بين علمي الظاهر والباطن، أخذ عن والده وأخذ عنه ابنه محمد وعيسى الثعالبي، له منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، وجزء من تحريم الدخان، توفي سنة 1073 هـ. انظر ترجمته في: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج، ص، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1 ص 309-310.

78 -**الورثلاني:** هو الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، مؤرخ من فقهاء المالكية له اشتغال بالتصوف نسبته إلى بني ورتلان ولد بها سنة 1125 هـ الموافق لسنة 1713م، ونشأ بها ، وتوفي سنة 1193 هـ الموافق لسنة 1779م، من مؤلفاته: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"و" شرح منظومة الخضري في التصوف" انظر ترجمته في:الزركلي: الأعلام، ج2، ص257.

79 -**سعيد قدورة**: هو أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة التونسي الأصل الجزائري المولد والقرار، العالم الفقيه المتصوف، أخذ عن سعيد المقري وابراهيم الهشتوكي، ومحمد بن القاسم المطماطي ويحيى الشاوي، له شرح للسنوسي وشرح مسلم، توفي سنة 1066هـ. انظر ترجمته في: الحفنلوي: تعريف الخلف، ج1، ص71-72، و محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص309.

80 - **عمرالوزان :** هو عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني المعروف بلوزان الملقب بأبي بكر و أبي حفص، فقيه أصولي صوفي مشارك في العلوم النقلية والعقلية كان يهتم بالحديث واللغويات ويحفظ البخاري بأسانيده ، اعتبر من أبرز علما قسنطينة في القرن العاشر قال عنه تلميذه عبد الكريم الفكون :" لا يجارى في علم الفقه والأصول " وكانت تشد إليه الرحال لأخذ

العلم عنه ، وأكثر تأليفه في الفقه والعقائد والتصوف منها البضاعة المزجاة، وحاشية على شرح السنوسية الصغرى ، اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 950م وقيل 960م انظر ترجمته في: أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغربة، دط الجزائر: جامع الجزائر، 1995م، ص 54

81 - انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، دت ج، ص474.

82 -**أحمد زروق**: هو أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، العالم الامام الصوفي الفقيه المحدث، ولد سنة 846 ﻫ أخذ عن عبد الرحمن الثعالبي وابراهيم التازي واحمد حلولو وغيرهم، له شرح قواعد الاسلام للقرطبي، وشرح حكم ابن عطاء الله السكندري، وقواعد التصوف ، وشرح الرسالة، وتوفي سنة 899 ﻫ. انظر ترجمته في: ابن مريم: البستان، وعلماء بتلمسان، دط، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1900م، ص45 ، و محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص267-168.

83 -**عبد الحميد بن باديس**: هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي باديس، ولد بمدينة قسنطينة سنة 1889م في اسرة مشهورة بالعلم والصلاح والثراء، يعد الزعيم الروحي لحرب التحرير الوطنية ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين ن توفي سنة 1940م. انظر ترجمته في: أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة ط1، قسنطينة: دار البعث، 1984م، ج2، ص231-232.

84 -انظر: أحمد محود صبحي، التصوف سلبياته واجابياته، ، ص08.

85 -بكير بن سعيد اعوشت: إسلام اليوم بين الأصالة والتجديد، دط، باتنة: الجزائر: دار الشهاب، دت، ص121.

86 -انظر: مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف، ط2، مصر: دار الدعوة، 1982م، ص64.

87 -انظر: المرجع نفسه، ص64.

88 -رئيسة قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الاسيوية جامعة الزقازيق.

89 -هدى درويش: مجلة التصوف الاسلامي، العدد277، أفريل 2010ص02-03.

90 -**الحلول:** معنى الحلول في اللغة: يقال: حل الرجل في المكان إذا نزل فيه أو دخله، أو سكنه، فهو حال فيه ويحل حلا حلولا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 163.

91 -**الاتحاد**: معنى الاتحاد في اللغة: امتزاج الشيء به واختلاطه به حتى لا تكاد تفرق أحدهما عن الاخر كاتحاد اللبن بالماء، فالاتحاد يصير الذاتين ذاتا واحدة. انظر: الجرجاني: التعريفات، ص22.

92 -انظر: عبد الفتاح أحمد الفاوي: التصوف عقيدة وسلوك، ط1، مكتبة الزهراء، 1992م، ص 37.